نماذج نَصيَّة

يقول العقاد في قصيدة (النار) : [1]

عبدوك من قدم ومـــا عرفـــوك ... يا أم علو وعرشها المـــسموك *
ورأوك خالـــدة ولـــو لا طلعـــة ... لك في النواظر ما اهتدى رائيك
شعرت حشاشتهم بروحك قبلمـــا ... خشيت جلـــودهم المنيـــة فيـــك
حملوا إليك على الأكف صغارهم ... ورموا بأكبدهم إلـــى ملّـــوك *
ومن الضحية لـــب كـــل عبـــادة ... ما الدين دين نـــسيئة وصـــكوك

* * * * * *

أترينهم رهبوا الصواعق منك أم ... حمدوا الشموس إليك فـــاتبعوك؟
وتذكروا سقر المغيظ ضـــرامها ... أم جنـــة الفـــردوس إذ ذكـــروك
الكون جثة ميـــت فـــي قبرهـــا ... حركته فمضى علـــى التحريـــك
وحضنت هذا الطين فاتقد الهوى ... فـــي مائـــه وترابـــه المـــسبوك
عجبى لوجهك كيف ذل لمعـــشر ... رفعوك من سرر لهـــم وأريـــك
بك أنـــضج الله الحيـــاة شـــهية ... وعليك تنضج لقمـــة الـــصعلوك
ولعلهـــم لـــم يعبـــدوك لحكمـــة ... لكن لأجـــل طعـــامهم عبـــدوك

* * * * * *

يتجه الخطاب الشعري في هذه القصيدة إلى تجلية النار و إبراز أهميتها وفوائدها وتقديس الناس لها منذ الأزل ، فما الطريق الذي سلكه الشاعر لتجلية هذه الحقيقة وإقناع القارىء بها ؟

١- ديوان أشباح الأصيل ، عباس محمود العقاد ص ٢٩٦ منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .
* أم علو : السماء .
* ملوك : إله فينيقي كانوا يتقربون إليه بالأطفال يلقونهم في النار .

حاول الشاعر الاستدلال لفكرته بما يلي :

- أن الناس رأوا في النار الخلود والبقاء ، وأنه لا غنى لهم عنها في حياتهم
- أن الفينيقيين كانوا يتقربون إلى (ملّوك) الإله الذي كانوا يعبدونه بإلقاء أطفالهم في النار .
- أن فيها من الشمس حرارتها و إحراقها فابتعوها لحبهم الشمس وتقديسها .
- أنها عامل مهم في نضج الحياة وجعلها شهية ، حيث تحيل الطعام النيىء إلى طعام ناضج شهيّ .

كل هذه الحقائق ساقها الشاعر للاستدلال على فكرته و إقناع القاريء بها كما اعتمد الإقناع على استخدام الأسلوب الخبري التقريري في معظم أبيات النص سواء أكان ذلك باستخدام الجملة الاسمية أم الفعلية :

- عبدوك من قدم وما عرفوك .
- شعرت حشاشتهم بروجك .
- حملوا إليك على الأكف صغارهم .
- تذكروا سقر المغيظ ضرامها .
- خضنت هذا الطين .
- الكون جثة ميت في قبرها .

كما آثر الشاعر استخدام الفعل الماضي لأنه يفيد الثبات و تأكيد الحدث .

حتى الأساليب الإنشائية التي ساقها جاءت لأغراض تؤكد أهمية النار وإعلاء مكانتها :

- فالنداء في قوله " يا أم علو " يفيد التعظيم و الإشادة برفعة مكانة النار في قلوب الناس .

- والاستفهام في قوله :

أترينهم رهبوا الصواعق منك أم حمدوا الشموس إليك فاتبعوك

استفهام يفيد الإثبات وتقرير حقيقة أن الناس رهبوا الصواعق و أضرارها ومع حرص الشاعر على إبراز فكرته بالدرجة الأولى متكئًا على بلاغة الإقناع فالنص لا يخلو من " الانزياح " في بعض عباراته ، كالتقديم والتأخير في قوله :

- بك أنضج اللّٰه الحياة شهية .
- عليك تنضج لقمة الصعلوك .
- لكن لأجل طعامهم عبدوك .
- من الضحية لب كل عبادة .

وهذا الانزياح اللغوي من شأنه أن يحيل القاريء إلى التأويل والتفسير.

إن الجانب الفكري في قصيدة العقاد يحتل مساحة كبيرة من التجربة الشعرية تجعل القاريء يشعر بذلك ، ويتتبع استدلال الشاعر وحرصه على تأكيد الفكرة بما ساق من أدلة ، وما قدم من حجج ، وكان التركيز على الفكرة مدعاة لأن تأتي لغة المجاز ، والانزياح اللغوي في المرتبة الثانية فبدا النص مركزً على الفكرة معتمدًا على بلاغة الإقناع .

وتعال معي نتأمل النص التالي : ـ

ويقول البارودي وهو في سرنديب :ـ [1]

محا البين ما أبقت عيون المهـا منـي
فشبت ولم أقض اللبانـة مـن سـني
ولمـا وقفنـا للـوداع وأسـلبت
مـدامعنا فـوق الترائـب كـالمزن
أهبـت بـصبري أن يعـود فعزنـي
وناديت حلمـي أن يثـوب فلـم يغـن
عنـاء ويـأس واشـتياق وغربـة
أَلاَ شدّ ما ألقاه في الـدهر مـن غـبن
وما كنت جربـت النـوى قبـل هـذه
فلما دهتني كدت أقضي مـن الحـزن
ولكننـي راجعـت حلمـي وردنـي
إلى الحزم رأي لا يحـوم علـى أفـن
ولـولا بنيـات وشـيب عواطـل
لما قرعت نفسي علـى فائـت سـني
فيا قلب صـبرًا إن جزعـت فربمـا
جرت سُنحا طيـر الحـوادث بـاليمن

١- محمود سامي البارودي شاعر النهضة ، د . علي الجندي ط ٢ مكتبة الأنجلو المصرية .

وقد تــورق الأغــصان بعــد ذبولهــا
ويبدو ضياء البدر في ظلمــة الــوهن
و أي حـــسام لـــم تـــصبه كلالـــة
ولهــذم رمــح لا يفــل مــن الطعــن
ومــن شـــاغب الأيـــام لان قريـــره
و أسلمه طول المــراس إلــى الــوهن
وما المــرء فــي دنيــاه إلا كــسالكٍ
مناهج لا تخلو من الــسهل والحَــزْن
فــإن تكــن الــدنيا تولــت بخيرهــا
فــأهون بــدنيا لا تــدوم علــى فَــنّ
تحملــت خــوف المــن كــل رزيئــة
وحمل رزايا الدهر أحلى مــن المــنّ
وعاشـــرت أخـــدانا فلمـــا بلـــوتهم
تمنيت أن أبقــى وحيــدًا بــلا خــدن
إذا عرف المرء القلوب ومــا انطــوت
عليه من البغضاء عاش علــى ضــغن
يــرى بــصري مــن لا أود لقــاءه
وتسمع أذني ما تعــاف مــن اللحــن
وكيف مقامي بــين أرض أرى بهــا؟
من الظلم ما أخنى على الدار والــسكن

فلا خير في الدنيا إذا المرء لـــم يعـــش

مهيبا تراه العين كالنـــار فـــي دغـــن

عاش البارودي تجربة النفي والاغترَب عن وطنه ، وعاش مرارة التجربة من إحساس بالظلم والمهانة ، وذاق الشاعر آلام التجربة وحيدًا في غربة موحشة لا أنيس فيها سوى ليل مظلم دامس شديد القسوة يعقبه نهار طويل أكثر قسوة ومرارة ، وهكذا ، وطال مكثة في غربته طيلة سبعة عشر عامًا كف فيها بصره وفقد الصاحب والرفيق والأهل وصار وحيدًا بعد أن كان ذا جاه ومال ومكانة عالية وبطولات حربية فهو رب السيف والقلم .

لذلك جاءت الأبيات محملة برياح الألم ن مغموسة في أعاصير الحزن الذي عصف بقلبه وكيانه فكانت ألفاظه صرخة مكلوم وكانت صوره أنه مقهور تجرع كؤوس الألم ومرارة الحرمان .

فقد محا البين مشاعر الغزل الطيبة من نفسه ، ودب الشيب في رأسه ولما يكبر سنه بعد ، ولما حانت ساعة الوداع والافترَق عن الأهل والوطن انهمرت دموعه مدرارة كأنها السحاب الممطر وعصفت به ريح النوى فتخلى عنه صبره وابتعد عنه حلمه ورشاده ، وأي رشاد والوطن الغالي يفر من بين يديه ؟ وأي ثبات وهرم شهرته يتهاوى على أيدي الحاكمين الظالمين آنذاك :

ثم انظر إليه يصور ما يلاقيه في منفاه :

عناء ويـــأس واشـــتياق وغربـــة ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن

و لأنه فارس فقد رده حلمه إلى رأي حازم . . ترى ما هذا الرأي ؟ لا شيء غير الثبات في مواجهة العاصفة إن جزعه الشديد و ألمه المديد على بنياته والشيب العواطل .

ثم يعود الشاعر ليسري عن نفسه بحشد هائل من الحكم وحقائق الكون :

مثل :

– وقد تورق الأغصان بعد ذبولها

ويبدو ضياء البدر في ظلمة الوهن

وقوله :

و أي حسام لم تصيبه كلالة

ولهذم رمح لا يفل من الطعن؟

وقوله :

– ومن شاغب الأيام لان قريره

و أسلمه طول المراس إلى الوهن

وقوله :

تحملت خوف المن كل رزيئة

وحمل رزايا الدهر أحلى من المنّ

والشاعر يعلم علم اليقين أن هناك من يبغضه ويكن له العداوة ، ويعرف هؤلاء جيدًا من خلال معاشرتهم ، وأن منهم من لا يود لقاءه وسمع منهم ما تعاف الأذن سماعه . . حتى لقد كره المقام في أرض كثر فيها الظلم وفاض حتى غطى على الدار والسكن .

ثم يختم النص بهذا البيت الذي يبرز فروسيته وعلو همته وعظيم مكانته وملموس هيبته إذ يقول :

فلا خير في الدنيا إذا المرء لـــم يعـــش

مهيبا تراه العين كالنـــار فـــي دغـــن

وحتى يمتع الشاعر المتلقى فقد سلك طريق المجاز الملموس في صوره الجمالية الكثيرة الرائعة مثل : -

- محا البين ما أبقت عيون المها .
- أسبلت مدامعنا كالمزن .
- أهبت بصبري أن يعود فعزني .
- ناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
- ردني إلى الحزم رأي .
- من شاغب الأيام لان قريره .
- أسلمه طول المراس إلى الوهن .
- المرء في دنياه كسالكِ مناهج .
- حمل رزايا الدهر أحلى من المنِّ .
- يرى بصري من لا أود لقاءه .
- تسمع أذني ما تعاف من اللحن .
- تراه العين كالنار في دغن .

حشد هائل من التشبيهًا والاستعارات والكنايات التي تضفي على المعنى جمالاً وتمتع القارىء بما فيها من روعة التخيل والصياغة .

زد على ذلك تلك الأساليب وما فيها من تنوع يثرى الفكرة ويمتع القارىء .

- كالاستفهام في قوله :

و أي حسام لم تصبه كلالة ؟

وفي قوله :

وكيف مقـــامي بـــين أرض أرى بهـــا

من الظلم ما أخنى على الدار والسكن؟

- والنداء في قوله :

فيا قلب صـــبرًا إن جزعـــت فربمـــا

جرت سُنحا طيـــر الحـــوادث بـــاليمن

والقصر في قوله :

وما المـــرء فـــي دنيـــاه إلا كـــسالكٍ

مناهج لا تخلو من الـــسهل والحَـــزْن

ثم انظر إلى أساليب الشرط جوابها ، وترتب أحدهما على الآخر.

مثل :

– من شاغب الأيام لان قريره .

وقوله :

فـــإن تكـــن الـــدنيا تولـــت بخيرهـــا

فـــأهون بـــدنيا لا تـــدوم علـــى فَـــنِّ

وقوله :

إذا عرف المرء القلوب ومـــا انطـــوت

عليه من البغضاء عاش علـــى ضـــغن

وقوله :

ولما بلوتهم تمنيت أن أبقى وحيدًا بلا خدن .

ثم انظر إلى الأنزياح اللغوى المتمثل في التقديم والتأخير في قوله :

- ردني إلى الحزم رأي .
- جرت سنحا طير الحوادث باليمن .
- تحملت خوف المن كل رزيئة .

إن المتأمل هذين النصين : نص العقاد ونص البارودي يري بوضوح ما بينهما من فرق في المنهج الذي سلكه كل منهما فعلى حين سلك العقاد سبيل بلاغة الإقناع متكئًا على الاستدلال ومركزًا على إقناع القاريء ، نرى البارودي قد سلك طريق إمتاع القاريء بلغة المجاز والانزياح اللغوي ، وتنوع الأساليب ، وهذا ما يجعله يتأمل ويؤول ، وتلك غاية الإمتاع .

و إليك مجموعة من النصوص يمكنك أن تلاحظ ما فيها من بلاغة الإقناع أو بلاغة الإمتاع :

يقول العقاد في قصيدة " غزل فلسفيّ "[1] :

فيك من شمس الضحى العين التي ترسل اللمح مضيئًا في الظلام
فيك من بدر الدجى أحلامه حين يسرى نائمًا بين الأنام

فيك من كل ربيع طلعة تنبت النضرة عامًا بعد عام
والشتاء الجهم لا يعدوك من عهده العاصف برق وغمام

١- ديوان أشجان الليل . عباس محمود العقاد ، ص ٤٣٢ ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

ما تغنـــى الطيـــر إلاّ بعـــض مـــا أنـــت راويـــة ولانـــاح الحمـــام
وإذا الجـــــدول نـــــاغى نفـــــسه فهي أصداؤك من غيـــر كـــلام

وصنوف الـــوحش هـــل ناظرتهـــا من نفار بينكم أو مـــن وئـــام ؟
لا انفتـــــال الحـــــوت تنـــــساه ولا سطوة النسر ولا خـــوف النعـــام

فيك مـــن نـــار الحيـــاتين الهـــوى هل حياة الحىِّ إلاَّ من ضـــرام ؟
والـــــذى أرهبـــــه وا أســـــفا هجرك المدعو بالموت الـــزؤام

فيك مـــن دنيـــاك نقـــص رائـــق ومن الأخـــرى تباشـــير التمـــام
ومـــن الأمـــلاك طيـــب ورضـــى ومـــن الـــشيطان غـــيٌّ و أثـــام

هـــذه الروعـــة هـــل تجمعهـــا في مدى يوم لحـــوم وعظـــام ؟
لا وربـــي بـــل دهـــور غيـــرت قبلمـــا تتقنهـــا الأيـــدى الكـــرام

فيـــك مـــن هندســـة علويـــة ما استدار الخط فيـــه واســـتقام
ومـــن الفـــن مثـــال بـــاذخ هـــو للمثـــال والـــشادي إمـــام

ويقول عبد الرحمن شكرى في قصيدته " مناجاة الأمل " [1]:

ألا عد و أخلف أنت بالوعد مانح ... فمطلك مغفور وخيرك راجح
سلام على الدنيا ورضوان راحم ... إذا ضاء نجم منك في الأفق لائح
أيا بهجة العمران لولاك لم يكن ... فلا شيد الباني ولا كد كادح
أيا بلسم الأحزان لولاك لم يعيش ... على عنت الدنيا لهيف ونائح
معين على البلوى معين على الضنى ... إذا لم يكن فيه معين وناصح
ويا حادي الركبان في العيش مثلما ... حدا الركب في الصحراء حاد وصادح
ويا رحمة الله التي عمت الورى ... ولم يخل منها جارم النفس جامح
على صاحب الكوخ المهدم مشرق ... ببشرى ورب القصر راج وطامح
رست بك في لج الحياة نفوسنا ... فلم تتقاذفها الهموم السوارح
ثبات وصبر واعتزام وهمة ... فضائل نفس كلها أنت مانح
ولولا مساع أنت عاقد أمرها ... لآثر عقر الدار غاد ورائح
تكاد تنير الليل إمّا توقدت ... أماني تذكو حين تخبو المصابح
وإن غني الناس من أنت ذخره ... و أي غنى يغني وضوؤك نازح
منحت حياةً مرة بعد مرةٍ ... وتبخل بالعيش النفوس الشحائح
وتخلق للأرواح دنيا سنية ... وفي أفق منها النجوم اللوائح
مباديك شتى كالأزاهر جمة ... ففي كل حال موطن منك صالح

١- ديوان عبد الرحمن شكرى ، تحقيق نقولا يوسف ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

ويقول البارودي في قصيدة له وهو في سرنديب يتشوق إلى الوطن ويذكر أعداءه [1] :

لا يطمس الجهل ما أثقبت من شـــرف ... فكيف يحجب نور الجونة الدخن؟[2]

فليشغب الدهر أو تـــسكن نـــوافره ... فلست منه على ما فات أحتـــزن
فلا يسر عـــداتي مـــا بليـــت بـــه ... فسوف نفنى ويبقى ذكري الحسنُ
فإن أكن سرت عن أهلي وعن وطنـــي ... فالناس أهلي وكل الأرض لي وطن
لكننـــي بـــين قـــوم لاخَـــلاق لهـــم ... إن عاقدوا غدروا أو عاشروا رهنوا[3]
يخفون من حسد مـــا فـــي نفوســـهم ... ويظهرون خداعًا غير ما بطنـــوا
يا للحماة أما في الناس مـــن رجـــل ... واري الضمير له عقل به يـــزنُ
أكـــل خـــل أراه لا وفـــاء لـــه ... وكل قلب على الأيام مـــضطغن
تغير النـــاس عمـــا كنـــت أعهـــده ... فاليوم لا أدب يغنـــي ولا فِطَـــن
فـــالخير منقـــبض والـــشر منبـــسط ... والجهل منتشر والعلـــم منـــدفن
لم ألق مـــنهم ســـليمًا فـــي مودتـــه ... كأن كل امرىءٍ في قلبه دَخَـــن[4]
طواهم الغل طـــيَّ القِـــدِّ وانتـــشرت ... بالغدر بينهم الأحقاد والـــدِّمَنُ [5]
فلا صديق يراعي غيـــب صـــاحبه ... ولا رفيق على الأسرار يـــؤتمن
بلوتهم فـــسئمت العـــيش وانـــصرفت ... نفسي عن الناس حتى ليس لي شجن
فإن يكـــن فـــاتني مـــا كنـــت أملكـــه ... فالبعـــد عـــنهم لمـــا أتلفتـــه ثمـــن
كفي بحرب النوى سِـــلْمًا نجـــوت بـــه ... وربَّ مخـــشية فـــي طيهـــا أَمَـــنُ

* * * *

١- محمود سامي البارودي شاعر النهضة ، د . على الجندى ط ٢ مكتبة الأنجلو المصرية .
٢- الجونة : الشمس عند مغيبها لأنها تسود عندما تغيب .
٣- عاشر : عامل بالشدة .
رهن رهونًا : صار هزيلا .
٤- دَخَن : فساد .
٥- الدِّمن : الحقد القديم .

يقول المتنبي " في رثاء فاتك بمصر "[1] :

الحزن يقلق والتجمل يردع ... والدمع بينهما عصيّ طيِّع
يتنازعان دموع عين مسهد ... هذا يجيء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبي شجاع نافر ... والليل معيٍ والكواكب ظُلّع[2]
إني لأجبن عن فراق أحبتي ... وتحس نفسي بالحمام فأشجع
ويزيدني غضب الأعادي قسوة ... ويلم بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ... ويسومها طلب المحال فتطمع

* * * *

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه ؟ما يومه؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا ويدركها الفناء فتتبع
لم يُرض قلب أبي شجاع مبلغ ... قبل الممات ولم يسعه موضع
كنا نظن دياره مملوءة ... ذهبًا فمات وكل دار بلقع[3]
و إذا المكارم والصوارم والقنا ... وبنات أعوج كل شيء يجمع[4]
المجد أخسر والمكارم صفقة ... من أن يعيش لها الهمام الأروعُ

* * * *

يا من يبدل كل يوم حلة ... أنَّى رضيت بحُلّه لا تنزع
مازلت تخلعها على من شاءها ... حتى لبست اليوم مالا تخلع
مازلت تدفع كل أمر فادح ... حتى أتى الأمر الذي لا يدفع

١- شرح ديوان المتنبي ،الشيخ ناصف اليازجي ج ٢ ، دار نظير عبود ، بيروت ١٩٩٥ م .
٢- ظلع : أي تغمز في مشيها وهو شبيه بالأعرج .
٣- بلقع : خالية .
٤- بنات أعوج : أي الخيل الأعوجية .

فظللت تنظر لا رماحك شرع ... فيما غزاك ولا سيوفك قطع [1]
من للمحافل والجحافل والسُّرى ... فقدت بفقدك نيِّرا لايطلع
قبحًا لوجهك يا زمان فإنه ... وجه له من كل قُبح برقع
أيموت مثل أبي شجاع فاتك ... ويعيش حاسده الخصيُ الأوكع؟ [2]
ولّى وكل مخالم ومنادمٍ ... بعد اللزوم مُشَيَع ومودع [3]
من كان فيه لكل قوم ملجأ ... ولسيفه في كل قوم مرتع
إن حلَّ في فُرس ففيها ربها ... كِسرى تذل له الرقاب وتخضع
أوحل في روم ففيها قيصرٌ ... أوحل في عُرب ففيها تُبَّع
قد كان أسرع فارس في طعنة ... فرسًا ولكن المنية أسرع
لا قلبت أيدي الفوارس بعده ... رُمحًا ولا حملت جوادًا أربع [4]

* * * * *

١- غزاك : نزل بيك .
٢- الأوكع : الذي أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرُى أصلها خارجًا . ويقال عن الأوكع " اللئيم .
٣- المخالم : الصديق .
٤- أربع : قوائم .

ويقول نزار قباني في قصيدته : اعتذار لأبي تمام : [1]

(١)

أحبائي:
إذا جئنا لنحضر حفلة للزار
منها يضجر الضجر
إذا كانت طبول الشعر يا سادة
تفرقنا وتجمعنا
وتعطينا حبوب النوم في فمنا
وتسطلنا . . وتكسرنا
كما الأوراق في تشرين تنكسر
فإني سوف أعتذر .

(٢)

أحبائي . .
إذا كنا سنرقص دون سيقان . . كعادتنا
ونخطب دون أسنان . . كعادتنا . . .
ونؤمن دون إيمان . . كعادتنا . . .
ونشنق كل من جاؤوا إلى القاعة
على حبل طويل من بلاغتنا
سأجمع كل أوراقي وأعتذر

١- الأعمال الكاملة ، نزار قباني ، دار العودة بيروت ، لبنان .

(٣)

إذا كنا سنبقى أيها السادة
ليوم الدين مختلفين حول كتابة الهمزة . .
وحول قصيدة نسبت إلى عمرو بن كلثوم . .
إذا كنا سنقرأ مرة أخرى
قصائدنا التي كنا قرأناها.
ونمضع مرة أخرى
حروف النصب والجر . . التي كنا مضغناها.
إذا كنا سنكذب مرة أخرى .
ونخدع مرة أخرى الجماهير التي كنا خدعناها.
ونرعد مرة أخرى ، ولا مطر . .
سأجمع كل أوراقي .
و أعتذر .

(٤)

إذا كنا تلاقينا
لكي نتبادل الأنخاب أو نسكر . .
ونستلقي على تخت من الريحان والعنبر
إذا كنا نظن الشعر راقصة . . مع الأفراح تستأجر .
وفي الميلاد والتأبين تستأجر
ونتلوه كما نتلو كلام الزير أو عنتر
إذا كانت هموم الشعر يا سادة .

هي الترفيه عن معشوقة القيصر .
ورشوة كل من في القصر من حرس . . ومن عسكر . . .
إذا كنا سنسرق خطبة الحجاج : والحجاج . . والمنبر . .
ونذبح بعضنا بعضًا لنعرف من بنا أشعر . .
فأكثر شاعر فينا هو الخنجر . .

(٥)

أبا تمام . . أين تكون ؟ . . أين حديثك العطر ؟
و أين يد مغامرة تسافر في مجاهيل ، وتبتكر . .
أبا تمام . .
أرملة قصائدنا . . و أرملة كتابتنا . .
و أرملة هي الألفاظ والصور . .
فلا ماء يسيل على دفاترنا . .
ولا ريح تهب على مراكبنا
ولا شمس ولا قمر
أبا تمام ، دار الشعر دورته
وثار اللفظ . . والقاموس . .
ثار البدو والحضر . .
ومل البحر زرقته . .
ومل جذوعه الشجر .
ونحن هنا . .
كأهل الكهف . . لا علم ولا خبر

فلا ثوارنا ثاروا
ولا شعراؤنا شعروا
أبا تمام : لا تقرأ قصائدنا
فكل قصورنا ورق . .
وكل دموعنا حجر . .
أبا تمام : إن الشعر في أعماقه سفر
وإبحار إلى الآتي . . وكشف ليس ينتظر
ولكنا . . جعلنا منه شيئا يشبه الزفة
و إيقاعًا نحاسبيا ، يدق كأنه القدر . .

(٧)

أمير الحرف . . سامحنا
فقد خنا جميعًا مهنة الحرف
و أرهقناه بالتشطير ، والتربيع ، والتخميس ، والوصف .
أبا تمام . . إن النار تأكلنا
ومازلنا نجادل بعضنا بعضا . .
عن المصروف . . والممنوع من صرف . .
وجيش الغاصب المحتل ممنوع من الصرف !!
ومازلنا نطقطق عظم أرجلنا
ونقعد في بيوت الله ننتظر . .
فلا أحدًا بسيف سواه ينتصر .

(٨)

أبا تمام : إن الناس بالكلمات قد جأروا
وبالشعراء قد جأروا
فقل لي أيها الشاعر
لماذا الشعر حين يشيخ
لا يستل سكيناً . . وينتحر ؟ ؟

ويقول شوقي على لسان قيس في مسرحية (مجنون ليلى) [1]

جبـــل التوبـــاد حيـــاك الحيـــا ... وســـقى الله صـــبانا ورعـــى
فيك ناغينا الهـــوى فـــي مهـــده ... ورضـــعناه فكنـــت المرضـــعا
وحدونا الـــشمس فـــي مغربهـــا ... وبكرنـــا فـــسبقنا المطلعـــا
وعلـــى ســـفحك عـــشنا زمنـــا ... ورعينـــا غـــنم الأهـــل معـــا
هـــذه الربـــوة كانـــت ملعبـــا ... لـــشبابينا وكانـــت مرتعـــا
كم بنينـــا مـــن حـــصاها أربُعـــا ... وانثنينـــا فمحونـــا الأربُعـــا
وخططنا في نقـــا الرمـــل فلـــم ... تحفظ الريح ولا الرمـــل وعـــى
لم تـــزل ليلـــى بعينـــي طفلـــة ... لم تزد عـــن أمـــس إلاّ إصـــبعا
مالأحجـــارك صـــمًّا كُلمـــا ... هاج بي الشوق أبت أن تـــسمعا
كلمـــا جئتـــك راجعـــت الـــصّبا ... فأبـــت أيامـــه أن ترجعـــا
قـــد يهـــون العمـــر إلاّ ســـاعة ... وتهـــون الأرض إلاَّ موضـــعا

١- الأعمال الكاملة . أحمد شوقي . دار العودة . بيروت . لبنان .

وبعد . .

فلسنا في مجال مفاضلة بين بلاغة الإقناع وبلاغة الإقناع وما كان لنا أن نفاضل لأن البلاغة لا تتجزأ ، الغاية واحدة تتمثل في تجلية معالم النص و إبراز فكرته ، لكن الطريق إلى تحقيق ذلك يختلف :

ففي بلاغة الإقناع يستند الشاعر إلى عنصر الفكرة ويلح عليه ، ويبرزه من خلال توضيح الجزئيات و الإحاطة بجوانب الموضوع وما يمتلك الشاعر من أدلة وحجج وبراهين يصل من خلالها إلى إقناع القارىء وإفهامه . . فالأمور العقلانية هنا بارزة ملموسة تحتل المرتبة الأولى .

وفي بلاغة الإقناع يستند الشاعر إلى جمال الصياغة ودقة الأسلوب وما يقتضيه من محسنات تستولي على نفس القارىء ، وتخلب عقله ، وتجعله يحلق في عالم من المتعة والدهشة والانسجام .

ولا يفهم من ذلك أن بلاغة الإقناع لا تهتم بالفكرة ، أو أن النفس الممتع لا يعنى بالفكرة و إبراز الموضوع . ليس الأمر كذلك ، لأن الشاعر يعنيه في المقام الأول وضوح الفكرة .

والشاعر حين يكتب النص يترك للقارىء الحكم عليه ، ولا يحجر على ذوقه ، ولا يقول له هذا نص للإمتاع أو هذا نص للإقناع ، لكن القارىء هو الذي يستشعر الإمتاع ، أو يصل إلى درجة الإقناع .

وليس بخاف علينا أن ثقافة الشاعر وموهبته هي التي تحدد الطريق الذي يسلكه للوصول إلى هدفه من وراء النص ، فشاعر مثل العقاد وما يمتلك من قدرة

على الإقناع بالحجة والدليل والبرهان يهتم بالمقام الأول في قصائده بالفكرة ، ويلح عليها ويتناولها من كل جوانبها ، حتى يبهرك بإقناعه و أدلته وشاعر مثل شوقي وما يملك من موهبة ، ومقدرة على الصياغة الجميلة ورسم الصورة ، يبهرك بحلاوة الأسلوب وجمال الصورة حتى يصل بك إلى التمتع بفكرة النص ، والموضوع الذي يتناوله .